حسن حسني ... «جوكر» السينما المصرية .. وتراوحت أعماله بين الكوميديا والتراجيديا

بدأت رحلة حسن حسني بمولده في 19 يونيو 1931، في حي القلعة بالقاهرة، لأب يعمل «مقاولا»، وانتقل مع الأسرة إلى حي الحلمية الجديدة، والتحق بالمدرسة الابتدائية في سن السادسة، وحينئذ تعرّض لصدمة بالغة بفقد والدته، ما أسبغ عليه هالة من الحزن الدفين، وظهرت عليه علامات الانطواء، وعدم اللهو مع أقرانه، وأفرغ كل طاقته في مطالعة كتبه المدرسية، وأشاد معلموه بتفوقه، لاسيما قدرته على القراءة وكتابة موضوعات التعبير.

كان والد حسن يجمع بين الطيبة والحزم، ويسعى جيرانه وأصدقاؤه لمشورته ويعملون بها، وتأثر الابن بوالده إلى حد كبير، وسادت بينهما علاقة قائمة على التوجيه بالكلمة والإقناع بالمنطق، من دون ميل إلى القسوة، وحاول قدر استطاعته أن يخرجه وإخوته من حالة الحزن بعد وفاة والدته.

في تلك الفترة، كانت المدارس المصرية تهتمّ بتنمية الهوايات الفنية والأدبية، بجانب المناهج الدراسية، ولم يكن غريباً أن يتواجد كبار الأدباء والفنانين آنذاك مع تلاميذ المراحل المختلفة، ويلقنونهم خبراتهم في مجالاتهم، ومنهم الموسيقار محمد عبدالوهاب، والمخرج عزيز عيد، وحسين رياض، وإسكندر منسي، وغيرهم.

وبدأ مشوار حسني مع التمثيل، عندما كان طفلاً في المدرسة الابتدائية، واستهوته حصة المحفوظات، وكان مُعلم اللغة العربية يتبع طريقة مختلفة بعيداً عن الحفظ التقليدي والتلقين، ويَوزّع على التلاميذ الأدوار، ليؤدوها بشكل تمثيلي، ومن هنا جاءت اللحظة الفارقة في حياة التلميذ النابه، وقادته قدماه إلى مسرح المدرسة.

سد فراغاً هائلاً بعد رحيل كبار الممثلين من أمثال زكي رستم وصلاح منصور

شارك حسني في فريق التمثيل، وسمع للمرة الأولى اسم الكاتب الإنكليزي ويليام شكسبير، واختاره المخرج لأداء دور البطولة بتجسيد شخصية «أنطونيو» في مسرحية «انطونيو وكليوباترا»، التي تدور أحداثها في أجواء تراجيدية حول قصة الحب بين القائد الروماني والملكة الفرعونية.

وبعد الانتهاء من البروفات، شاركت هذه المسرحية في مسابقة التمثيل بين المدارس، وحصل من خلالها على كأس التفوق بالمدرسة الخديوية، وتوالت العروض التي شارك في بطولتها، وحصل على العديد من ميداليات التقدير من وزارة التربية والتعليم، وتصادف حضور الفنان حسين رياض في إحدى لجان التقييم، وأشاد بموهبة ذلك الممثل الصغير، وتنبأ له بمستقبل باهر.

تراوحت أعمال حسن حسني بين الكوميديا والتراجيديا، ورغم غيابه عن أدوار البطولة المطلقة، باستثناء أعمال قليلة، كان أكثر الفنانين تمثيلاً في تاريخ السينما المصرية على الإطلاق، وخطف الأضواء من بعض النجوم، وبات نجاح أعمالهم، مرتهناً بحضور هذا الممثل العملاق، ويكفي ظهور اسمه على «أفيش» الفيلم أو المسرحية، لجذب الجمهور إلى شباك التذاكر.

أصداء لا يمكن إغفالها في مشوار فنان، تعلّق بالتمثيل منذ طفولته، وشق طريقه بصعوبة بالغة، وسد فراغاً هائلاً بعد رحيل كبار الممثلين، من أمثال زكي رستم، وصلاح منصور، ومحمود المليجي، وعادل أدهم، وظل محتفظاً ببصمته المتفردة، وأطلق عليه «القشاش»، و«المشخصاتي»، و«أبو الكوميديانات في مصر»، و«الجوكر» لقدرته على التنوع والإقناع، سواء كان الدور كوميدياً أو تراجيدياً.

وحفلت مسيرة حسني بثراء تجربته الفنية، وخلال عمره الذي امتد إلى 89 عاماً توقف في محطات عدة، وعايش أجيالاً من النجوم والمخرجين، واتسعت دائرة حضوره في أعمال خارج مصر، سواء في دول الخليج أو سورية أو المغرب العربي، وتوثقت علاقته بزملائه من الفنانين العرب، وحظي بتقدير كبير من الأجيال الشابة، واعتاد هؤلاء أن يطلقوا عليه لقب «الأب»، أو «العم»، أو «الخال».

وكان الفنان أشرف عبدالباقي يناديه دائما بـ«الخال حسن»، لأنه قام بدور خاله في إحدى المسرحيات، وأطلق عليه البعض «رأس الحربة» الذي لا يمكن الاستغناء عنه في مباريات كرة القدم، أو جلوسه على دكة البدلاء، وأيضاً اشتهر أنه «تميمة الحظ» في موجة الأفلام الشبابية والأعمال الفنية بصفة عامة، ورأى البعض أن «حسن حسني يأتي مع الفيلم الخام»، أي أنه حاضر دائماً في أذهان المؤلفين والمخرجين، ويرجع ذلك إلى أنه عاش حياته عاشقاً للفن والتمثيل.

حصل حسن حسني على شهادة التوجيهية عام 1956، وطرق أبواب المسارح واستوديوهات السينما، وقام بأدوار ثانوية، وفي بداية الستينيات شارك في فرقة المسرح العسكري، وهناك توطدت صداقته بزميله الفنان حسن عابدين، وكلاهما نال نجوميته في سن متأخرة، وتشاركا في العديد من الأعمال السينمائية والدرامية والمسرحية، ومنها مسرحية «ع الرصيف».

وبعد صدور قرار بحل هذه الفرقة عقب نكسة الخامس من يونيو عام 1967، تنقل حسن حسني بين مسرح الحكيم والمسرح القومي والحديث، ثم انضم لفرقة جلال الشرقاوي وعمل فيها لما يقرب من عشر سنوات، ووقف أمام نجوم العصر الذهبي للمسرح مثل عبدالله غيث، وسميحة أيوب، وسناء جميل، وعبدالرحيم الزرقاني، وكرم مطاوع، وسهير البابلي وغيرهم.

وظلت مشاركات حسني في المسرح خلال عقد الستينيات، لا تتجاوز الأدوار الصغيرة، وتعد من أصعب الفترات في مشواره الفني، ما دفعه إلى البحث عن فرصة حقيقية في السينما، وسجّل أول ظهور على الشاشة البيضاء في فيلم «لا وقت للحب» عام 1963، قصة يوسف إدريس، وإخراج صلاح أبوسيف، ولعب دوراً صغيراً أمام فاتن حمامة ورشدي أباظة، وفي العام نفسه تواجد مع سيدة الشاشة العربية في فيلم «الباب المفتوح»، قصة لطيفة الزيات، وإخراج هنري بركات، ذلك الشريط الذي حصد جائزة أفضل فيلم في مهرجان جاكارتا السينمائي، وفي عام 1964 ظهر في فيلم «بنت الحتة» للمخرج حسن الصيفي، وبطولة شكري سرحان، وزهرة العُلا، وأحمد رمزي.

وغاب حسن حسني عن السينما حتى عام 1967، انشغل خلالها بعمله في المسرح، حتى أسند إليه المخرج أحمد بدرخان دوراً صغيراً في فيلم «النصف الآخر» قصة الأديب عبدالحميد جودة السحار، وبطولة سميرة أحمد، وعماد حمدي، ومديحة يسري، وأبوبكر عزت، وأحمد رمزي.

واستمرت رحلة حسني خلال السبعينيات، وشارك عام 1970 في فيلم «سوق الحريم» للمخرج يوسف مرزوق، وبطولة صلاح ذوالفقار، ومريم فخر الدين، وسميحة أيوب، وعبدالمنعم مدبولي، وبعد عامين منحه مخرج الروائع حسن الإمام فرصة ذهبية بدور «رئيس العمّال» في فيلم «حب وكبرياء» أمام النجوم محمود ياسين، ونجلاء فتحي، وحسين فهمي، وعماد حمدي، وسمير صبري.

وكانت تلك الفترة اختباراً حقيقياً لموهبته، واتساع دائرة الأدوار التي يجسدها، وبدأت ملامحه تستقر في أذهان الجمهور، وشارك في فيلم «مدينة الصمت» 1973 للمخرج كمال عطية، ولعب دور الشرطي أمام نور الشريف، ونيللي، ومحمود المليجي، وصلاح نظمي، وفي العام التالي ظهر مرة أخرى مع المخرج حسن الإمام في فيلم «أميرة حبي أنا» بطولة سعاد حسني، وحسين فهمي، وسهير البابلي، وكريمة مختار.

وظهر مع السندريلا سعاد حسني في دور صغير من خلال فيلم «الكرنك» عام 1975، قصة نجيب محفوظ، وإخراج علي بدرخان، وجسد شخصية نادل «مقهى الكرنك» أمام كوكبة من النجوم، منهم فريد شوقي، ونور الشريف، وكمال الشناوي، وتحية كاريوكا، ويونس شلبي، وشويكار، وفايز حلاوة. وبعد عامين شارك في فيلم «قطة على نار» للمخرج سمير سيف، وبطولة فريد شوقي، وبوسي، ونور الشريف، ومريم فخرالدين.

وجاءت البداية الحقيقية لمشواره الفني عام 1979، حين أسند إليه المخرج محمد فاضل دور «فتحي سكرتير الشركة» في المسلسل التلفزيوني الشهير «أبنائي الأعزاء شكراً»، بطولة عبدالمنعم مدبولي، وآثار الحكيم، وفاروق الفيشاوي، ويحيى الفخراني، وصلاح السعدني، وفردوس عبدالحميد.

وفي عقد الثمانينيات، شارك في العديد من الأعمال الدرامية في استوديوهات دبي وعجمان، التي عُرضت في دول الخليج العربي، ولفت الأنظار كممثل قادر على أداء أدوار الشر في فيلم «سوّاق الأتوبيس» عام 1982 للمخرج عاطف الطيب، ولعب دور «عوني» أمام نور الشريف، وميرفت أمين، وعماد حمدي، ويعد هذا الشريط السينمائي من أهم الأعمال في تاريخ السينما المصرية.

وبرزت موهبة حسني من خلال أعماله التالية مع المخرج عاطف الطيب، ومنها «البريء» (1986)، سيناريو وحيد حامد، وبطولة أحمد زكي، ومحمود عبدالعزيز، وإلهام شاهين، وصلاح قابيل، وجميل راتب، وناهد سمير، ولعب دور «الشيخ قيسون» في فيلم «البدرون» (1987)، أمام سهير رمزي، وسناء جميل، وممدوح عبدالعليم.

وفي فيلم «دماء على الأسفلت» للكاتب أسامة أنور عكاشة، جسّد شخصية الموظف البسيط «كامل نور الحسن» أمام نور الشريف، وإيمان الطوخي، وحنان شوقي، وطارق لطفي، وفي فيلم «الهروب» (1991)، قام بدور «مساعد وزير الداخلية» أمام أحمد زكي، وهالة صدقي، وزوز نبيل، وعبدالعزيز مخيون، وأبوبكر عزت، والفيلم يدور حول ثلاث شخصيات إجرامية تحاصر الشاب الصعيدي منتصر (أحمد زكي) فيتحوّل إلى مجرم متسلسل.

وعلى الرغم من ابتعاد حسن حسني عن المسرح عدة سنوات، فإنه عاد إلى اعتلاء خشبته في منتصف الثمانينيات، فقدم في عام 1985 المسرحية الكوميدية «اعقل يا مجنون» تأليف أنور عبدالله، وإخراج عادل صادق، وبطولة الفنان الكوميدي محمد نجم، وهالة صدقي، وسهير الباروني، ونبيل الهجرسي، وبعد عامين التقى كلا من نجمة المسرح سهير البابلي، وصديق عمره الفنان حسن عابدين في مسرحية «ع الرصيف» تأليف نهاد جاد، وإخراج جلال الشرقاوي، وشارك في بطولتها أحمد بدير، وأحمد حلاوة، وفؤاد خليل، وحققت المسرحية نجاحاً جماهيرياً كبيراً.

تتابعت رحلة الفنان حسن حسني، وشارك في أهم الأعمال الدرامية خلال التسعينيات، وتعددت أقنعته بين «الرسام والجنايني والموظف البسيط» ولعب دور «والد أم كلثوم» في المسلسل الشهير، وبعد غياب 37 عاماً التقى مرة أخرى بسيدة الشاشة فاتن حمامة في مسلسل «وجه القمر». وتقمص للمرة الأولى دور الجد في كوميديا «اللص الذي أحبه» وحقق انتشاراً غير مسبوق مع أجيال من المخرجين والنجوم، وحتى رحيله في 30 مايو 2020.

تحوّل مسار الفنان حسن حسني من أدوار الشر إلى الكوميديا، ومع بداية الألفية الثالثة، صار «تميمة الحظ» للنجوم الشباب، وشارك عام 2002 مع محمد سعد في فيلمه «اللمبي» الذي حقق وقتها إيرادات هي الأعلى في تاريخ السينما المصرية، وفتح المجال لسلسلة من الأفلام الشبابية، وظهور نجوم جُدد في الساحة الفنية، منهم محمد هنيدي وعلاء ولي الدين وأحمد حلمي وكريم عبدالعزيز وغيرهم.

ويعد محمد سعد من أكثر الممثلين الشباب الذي شاركهم حسن حسني أعمالهم، برصيد 12 فيلماً، منها «كركر» و«عوكل»، يليه هاني رمزي برصيد 9 أفلام، منها «محامي خلع» (2002) و«غبي منه فيه» (2004)، ويأتي أحمد حلمي في المرتبة الثالثة بـ7 أعمال، منها فيلم «ميدو مشاكل» (2003) و«جعلتني مجرماً» (2006)، وآخرها فيلم «خيال مآتة» (2019).

واشترك حسني مع كريم عبدالعزيز في أربعة أفلام منها «الباشا تلميذ»، وكان علاء ولي الدين من أوائل الوجوه الشابة التي ساعد في تقديمها، والتقى معه في أعمال عدة منها «عبود على الحدود» (1999) و«الناظر» (2000) و«ابن عز» (2001).

وكان الفنان الراحل بمنزلة الأب أو العم لبعض هؤلاء النجوم، ومنهم الشقيقان ياسر ورامز جلال، وكان الأخير في عمر سبع سنوات، عندما تعرف إلى صديق والده المخرج المسرحي جلال توفيق، وبحكم عمله في المجال الفني، التقاه في أكثر من عمل، سواء تلفزيوني أو مسرحي أو سينمائي، وظل يناديه بلقب «عم حسن» حتى في الكواليس، وظلت تربطهما علاقة أسرية وطيدة، بحكم الصداقة العميقة مع والده.

وحين بدأ رامز مشوار الاحتراف الفني، جاءت لحظة حاسمة وفارقة بالنسبة إليه، وأسندت إليه بطولة فيلم «أحلام الفتى الطائش» (2007)، فاقترح على صنّاع الفيلم الاستعانة بحسن حسني، لكنهم خافوا أن يرفض وألا يتحمس لرامز كبطل في فيلم كوميدي.

وحكى رامز تفاصيل هذا الموقف، قائلاً: «أخذت سيناريو الفيلم وذهبت إلى منزله بلا ميعاد، وقلت له بالحرف: (وحياة جلال توفيق ما تبيعني)، فضحك وقال لي: (انت ابني)، واتصلت بأبي وأعطيته عم حسن، ودار بينهما حديث قصير، انتهى بأن قال لي: (هات العقد بسرعة ماقدرش أقول لأبوك لأ)»، وتوالت الأعمال بعد ذلك مع «العم حسن».

أدرك الفنان حسن حسني محطته الأخيرة، وترك الكثير من المواقف والذكريات لأسرته وأصدقائه وزملائه في الوسط الفني، وبعد الرحيل كشف هؤلاء الجانب الإنساني لهذا الممثل العملاق، وكيف كرّس حياته للتمثيل وترك بصمة متفردة، وحضوراً يتجدّد مع مكتبة فنية حافلة بأكثر من 500 عمل بين مسرح وتلفزيون وسينما وإذاعة.

وفي غمار تلك الرحلة الطويلة لقطار العمر، شهد الكثير من لحظات الحزن والفرح، وطوى أحزان الطفل اليتيم بعيداً عن جمهوره، وبين حين وآخر يذكر أفضال عمته التي رعته كأم، حتى اطمأنت على استقراره مع زوجته الأولى، لكنه تعرّض في السنوات الأخيرة لصدمتين، الأولى حينما توفي الفنان علاء ولي الدين، وظل لأكثر من 20 يوماً لا تتوقف دموعه، والثانية عندما توفيت ابنته «رشا» عام 2013، متأثرة بمرضها بالسرطان، ومر بأقسى فترة حزن منذ وفاة والدته وهو لا يزال طفلاً.

وحفلت حياة الفنان الراحل بجوانب إنسانية مميزة، انعكست في سلوكه مع زملائه والمقربين منه، وسردت زوجته «الثانية» ماجدة حميدة مواقف وذكريات مع رفيق عمرها، حينما منحها الناقد الفني طارق الشناوي فرصة الكتابة عن زوجها، في كتابه «المشخصاتي» الذي قدّمه بمناسبة تكريم الدورة الأربعين لمهرجان القاهرة السينمائي لحسن حسني عام 2018، ومنحه «جائزة فاتن حمامة التقديرية».

وهذا التكريم أسعد الراحل كثيراً، ويبدو أنها كانت أمنيته التي انتظرها، ووجه وقتها الشكر إلى المهرجان لكونهم كرموه وهو على قيد الحياة، ومنحوه جائزة باسم فنانة يفتخر بالتمثيل أمامها في بداية مشواره السينمائي، وأيضاً الشعور بالسعادة من المحبة الغامرة من زملائه وأصدقائه في الوسط الفني.

سردت أرملته ماجدة حميدة كيف التقت زوجها بالمصادفة، حينما كانا معاً في إحدى المسلسلات عام 1995، وحينها كانت تعمل بالإنتاج وكان هو ممثلاً في المسلسل، وظهرت اهتمامات مشتركة بين الثنائي، وكانت هناك كيمياء خاصة تجمعهما فعرض عليها الزواج، ووافقت من دون تردد، ومن يومها لم يفرقهما سوى رحيله، وخلال رحلة دامت 25 عاماً، كان زوجاً مثالياً، يعيش بين عمله ومنزله وأسرته، وكان شعلة من النشاط داخل المنزل وخارجه.

كما تذكرت الأزمة المرضية التي مرت بها، واستدعت سفرها إلى الصين من أجل العلاج، ولم يتركها زوجها في تلك المرحلة، بل إنه كان يسافر بين القاهرة وبكين، مثلما كان يتحرك من منزله إلى منطقة «مصر الجديدة» (شرقي القاهرة)، وظل يرعاها في أزمتها ويهون عليها الألم، كما حرص على تقديم أعماله الفنية والوفاء بالتزاماته في مصر، واعتاد أن يزين غرفتها بالمستشفى في الصين ويضع بها الزهور والأنوار كي يحتفل بها، حتى تم شفاؤها.

وكانت ماجدة الزوجة الثانية للفنان الراحل، وخلال رحلة زواجهما، تعلمت منه التسامح لأقصى درجة، كما روت أنه كان يعشق المسرح، وهو ما كان يجعله يسهر كثيراً، وهي على العكس منه كانت تحب النوم مبكراً.

وكانت تتوقع منه حينما يعود إلى المنزل مرهقاً أن ينام، لكنه على العكس من ذلك كان يرغب في السهر أيضاً، وهو ما كان يغضبها، لذلك قالت له في إحدى المرات «من حقي الإنساني إني أنام»، وهو الأمر الذي ظل يتذكره، وفي كل شجار كان يقول لها: «حقك الإنساني... أوعي تنسي حقوقك الإنسانية»، ما يحوّل الشجار إلى فكاهة.

شارك في فرقة المسرح العسكري وتوطدت صداقته بالفنان حسن عابدين

حسن حسني ومحمد هنيدي في أحد الأعمال

حسن حسني جوكر الأعمال المصرية

.. ومع الفنان أحمد حلمي